دير سانت كاترين والسلطة

١٨٨٢ - ١٩٥٦: دراسة تاريخية

إعداد

خلود محمد رضا السيد جامع

المسجلة لدرجة الدكتوراه في الآداب قسم التاريخ

تخصص التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف:

أ.د/ نبيل عبد الحميد سيد أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المتفرغ

بكلية الآداب

جامعة دمياط

التنظيمات الداخلية للدير:

فيما يتعلق بالتنظيمات الداخلية وتوزيع الوظائف في الدير وطريقة الإدارة، نجد أن للدير هيئة تعرف بهيئة رجال الدير، وهى مسئولة عن إدارته، وهى تتألف غالباً من المطران وخمسة قساوسة وعدد من الرهبان يتراوح بين أربع إلى ثمان رهبان بخلاف الخدم من غير المترهبنين والمقصود بهم خدام الدير من قبيلة الجبالية، وللرهبان مجلس خاص يحكم بأكثرية الأصوات ويقوم بانتخاب الرئيس أو المطران ويكرسه بدوره بطريرك القدس، والبطريرك هو الأعلى في الدرجة الدينية لجميع من في دير سانت كاترين، والكنيسة تكون تحت وصايته، ويقيم المطران في الدير حيث يتولى إدارته ويساعده في ذلك مجمع يتكون من نائب وأمين صندوق وأمين مخازن، وكانت هناك وظيفتان في دير سانت كاترين هما:

١) أسقف الدير وهو يتولى مسئولية رهبانه ومشرف عليهم في النواحي الكنسية الدينية.

٢) رئيس الدير ومسئوليته هى إدارة شئون الدير وممتلكاته وأوقافه في مصر وخارجها ورئيس الدير أقل رتبه ومقاماً من الأسقف، وكان الأسقف يسكن الدير غير أن وجوده بالقاهره كان للمهام الخاصة بالدير[i]

وكان يتم اختيار الأسقف عن طريق انتخاب يسوط فيه الرهبان وبالنسبة للرهبان الغائبين والمتخلفين عن الانتخاب فكان يصوت عنهم بالإنابه وكان من اختصاص المطران والمجمع نقل الرهبان من وظيفة لأخرى ومن دير لآخر كما ان الرابطة كان لها عزل الأسقف، وان كان

للأسقف الحق في أن يرفع هذا القرار إلى البطريكية في القدس، فإذا لم يوفق بين الطرفين رفعوا أمرهم إلى بطريرك القسطنطينية وحكمه نافذ، ويلقب مطران الدير الرسمي بمطران جبل طور سيناء وتكون حلته عبارة عن:

١) تاج مرصع بالحجارة الكريمة
٢) عصا اسقفية مصنوعة من الذهب والحجارة الكريمة.
٣) العصا الرئاسية للدير ومقبضه من الذهب.
٤) صليب رئيس الأساقفه وهو مصنوع من الذهب والحجارة الكريمة.[ii]

وأحياناً كان رئيس الدير يعزل إذا صدر عنه خطأ ما تماماً مثلما حدث للقبرصي مرقص الذي عين عام ١٩٤٠م، وعزل بواسطة اجتماع عقد في القاهرة تحت إشراف بطاركة الإسكندرية والقدس[iii]

أما عن عدد الرهبان في كل سيناء فيلاحظ أنه اختلف اختلافاً كبيراً باختلاف الأزمنة كما اختلفت ظروفهم المعيشية والأمنية، ففي بداية القرن ١١م كان عددهم حوالي ٣٠٠ راهب، ومع بداية القرن ١٤م صار عددهم حوالي ٤٠٠راهب أو أكثر قليلاً، وقد وصلت مجموعة من الحجاج الايطاليين للدير حيث كان يوجد ٢٠٠ راهب بخلاف ١٥٠ يخدمون الكنائس الملحقة بالدير، ٥٠يخدمون الكنائس الأخرى الخارجية على جبل موسى ومع أواخر القرن ١٤م وصل عددهم إلى حوالي ٢٠٠ راهب.[iv]

وظل هذا العدد ثابتاً نسبيا حتى أواخر العصور الوسطى ، وفي العصر الحديث بدأ عددهم في التضاؤل بسبب تأسيس العديد من الأديرة الأخرى في مراكز مسيحية مختلفة كقبرص وكريت وأثينا وأديرة البحر الأحمر القبطية، بالإضافة إلى ضعف وانطفاء الحماس الذي صاحب حركة الرهبنة والديرية في بدايتها، وذلك بفعل التطور الثقافي الذي صاحب العصور الحديثة، ففي العصر العثماني ومع تدهور العلاقات بين الدولة العثمانية ودول أوروبا هجر الرهبان الدير، وربما ذهبوا إلى ميناء الطور حيث وصل عدد الرهبان وقت زيارة التاجر باسيل بوسيناكوف لجبل سيناء عام ١٩٤٨م حوالي ٩٠ راهب، ثم قل عددهم بسبب اضطهاد العربان المقيمين بجوارهم إلى ٣٠ راهب دون إحصاء النساك على أن الرحالة الروسي باسيل جوجارا (BasileGogara) يقرر عام ١٩٣٤م أن عددهم أكثر من ٣٠٠ راهب.[٧]

ومع ذلك فهناك ثمة إجماع بين المصادر التاريخية على تناقص عدد الرهبان في العصر الحديث، فمثلاً يذكر الرحالة فولني أنه مع نهاية القرن ١٨م كان بالدير ٥٠ راهب، إلا أن هذا العدد تناقص إلى ٢٨ راهب عام ١٨٠٠م، إلى أن وصل ٢٣ راهب عام ١٨١٦م، أما دي جاسبارين فلم تجد أثناء زيارتها للدير عام ١٨٤٨م سوى ٢٢راهب، وفي عام ١٨٩٤م لم يتعدى عددهم ٢٠راهب، و قد عثرت على راهب واحد فقط من بلاد البوسنة عام ١٩٤٩م، وحتى الآن هذا العدد ثابت نسبياً[vi]

الرتب الكنسية بالدير:

هناك رتب كنسية كهنوتية ورتب كنسية غير كهنوتية اما الرتب الكهنوتية هى : "الأسقف، القس، الشماس، وهذه هى الرتب الكنسية الكهنوتية القديمة، ومع مرور السنين صار هناك سبع رتب كهنوتية في الكنيسة وهى: البطريرك، المطران(المتروبوليت)، الأسقف، الخوريبسكوبوس، القمص، القس، الشماس"، وبعد أن تقلص دور الخوريبسكوبوس في الكنيسة صارت الرتب الكهنوتية سبع أيضاً وهي (البطريرك– المطران – الأسقف – القمص– القس – رئيس الشماسة – الشماس) إلا أننا الأن لا نسمع عن رتبة رئيس الشماسة باعتبارها رتبة مستقلة بذاتها في صلوات الليتورجية، إذ يقتصر ذكره في طقس الرسامات، حين يفرد الطقس له صلوات أو مردات خاصة به.[vii]

أما الرتب الكنسية غير الكهنوتية، هى "الإيبورياكون (مساعد الشماس)، الأغنسطس (القارئ)، الإبصلتيس (المرتل)، الشماسة (المرأة)، المعزم، القندلفت، البواب، وهى أيضاً سبع رتب إلا أن بعض هذه الرتب قد خبا مثل رتبة البواب، و بعضها الاخر لم يبق فيه سوى اسمه فقط مثل رتبة المعزم.[viii]

وفيما يلي تفسير لبعض المصطلحات الكهنوتية في الدير:

أرشمنيدريت:

هى كلمة يونانية تعني حاكم قطيع أو مدير رعية ، واستخدم هذا المصطلح في الكنائس الشرقية منذ القرن ٤م، وقد انحصر استخدامه في معنيين المعنى الأول راهب في درجة متقدمة وهو يقابل درجة القمص اي المدير، المعنى الثاني رئيس مجموعة أديرة.[ix]

اسقف:

هي كلمة يونانية (ابيسكوبوس) تعني الناظر– الرقيب من أعلى – الحارس – وهي أعلى درجة كهنوتية في الكنيسة المسيحية، فيتميز الاسقف عن باقي الدرجات الكنسية الأخرى، بأنه يرسم الكهنة من دون رتبته إثر تسلسل أسقفي يمتد راجعا حتى إلى الأباء الرسل القديسيين، فالأسقف هو مدير الكنيسة وراعيها ومعلمها وهو يدعى برئيس الكهنة.[x]

بطريرك:

تعني اب قوم او اب شعب ،ومن الجهة الانجلية تطلق الكلمة على ابراهيم واسحق ويعقوب ، وعلى ابناء يعقوب الأثنى عشر ، ومن وجهة التعليق الكنسي العام، فهي تطلق على السبعين رسولا، والقديس مرقس الرسول هو البطريرك الأول لكرس كنيسة الإسكندرية، وتعني الكلمة في الكنيسة المسيحية "اب الأباء او رئيس الأباء"، ولم تعرف كلمة بطريرك الا في القرن الخامس الميلادي.[xi]

شماس وشماسة:

تعريب لكلمة سريانية الأصل وهي (شاموشو) اي خادم ومنها شماس وشماسة في العربية.[xii]

أما الشماسة فهي امراة تكلف رسميا بخدمة محدودة في الكنيسة وخدمتها معروفه في الكنيسة منذ عصر الأباء الرسل، اذا اختار الرسول بولس خادمة شماسة لكنيسة كنخريا.[xiii]

علاقة الدير بالخارج:

كانت هناك علاقات وثيقة بين رهبان دير سانت كاترين ورهبان القسطنطينية، ولقد اتخذت العلاقات أشكالاً متعددة ولقد ظهر ذلك من خلال الاتصالات الفنية من خلال ما قدمه الرسامون المشاهير من روائع الأيقونات الفنية الجميلة، هذا بالإضافة إلى المساعدات المالية التي قام بها مركز الأرثوذكسية، كما أن رهبان القسطنطينية قاموا بحل مشاكل عديدة تتعلق بالإدارة الكنسية في دير سانت كاترين إلا أن في زمن الاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢م، انعدمت العلاقات وذلك بسبب فرض الاحتلال الانجليزي الحصار على سيناء وانقطاع الاتصال بين رجال الدين بالدير ورهبان القسطنطينية.[xiv]

كما كان هناك علاقات وثيقة بين رهبان دير سانت كاترين برهبان روسيا فقد اعتبر قياصرة روسيا أنفسهم وريثي الإمبراطورية البيزنطية فاهتموا بالدير واعتبروا أنفسهم حامي حمى الدير والمسئولين عن حماية المسيحية في الشرق، وقد تمثلت هذه العلاقات في العديد من التبادل في الهدايا، ففي الدير هدايا كثيرة من روسيا منها تابوت معدني عليها نقوش بارزة تمثل القديسة كاترينا، قدمته احدى أميرات روسيا عام ١٨٩٤م، لوضع رفات القديسة، إلا أن الرهبان رأوا بقاء رفاتها في تابوتها القديم، وهناك تابوت معدني أخر به نقوش بارزة من الفن الروسي يرجع إلى نهاية القرن ١٩م، بهيكل كنيسة التجلي الآن [xv]

هذا بالإضافة إلى المساعدات المالية الكبيرة التي منحتها قياصرة روسيا إلى دير سانت كاترينوكانت تقدر عدد المنح التي وصلت إلى دير سانت كاترين حتى عام ١٩٢٠م، أكثر من مليون روبل روسي، كما

أن أكثر الزوار في مطلع القرن العشرين كانوا من الأجانب الروس، وظلت هذه الزيارات الروسية حتى الآن هي أكثر المترددين على الدير.[xvi]

ولا يكلف رهبان ذينك الديرين في أي صقع من الأصقاع بدفع عوائد شخصية أو ضريبة، ولا تضرب عوائد أو رسوم جمركية على بضائعهم ثم عند حصول وفاة أحدهم لا يجوز لمقسمي المواريث أو نظار بيت الأمانة أو أي موظف آخر التدخل في الممتلكات أو الأمتعة المخلفة عن المتوفي لأن ممتلكات الرهبان المتوفين تصبح ملكاً للرهبان الأحياء.

كما وان رهبان هذين الديرين لهم حق الامتلاك بطريق الوقف في أديرتهم وكنائسهم ومزارعهم وفنادقهم وبيوتهم وحقولهم وكرومهم وبساتينهم وسائر ممتلكاتهم من أراضٍ ومراعٍ شتوية ببلاد الروملي و الأناضول ومن كنائس وبساتين النخيل على شاطئ البحر (في مدينة الطور). ومن أديرة وأملاك موقوفة بحي الجوانية بباب النصر بعاصمة القطر المصري، ومن جنائن وأراضٍ ومراعٍ شتوية بالاسكندرية ورشيد وبسائر المواني والأقاليم والمديريات والمدن والبلاد والقرى، ولهم حق الامتلاك في الأملاك والأراضي الملحقة التي ابتاعوها وفي الأملاك والأراضي الموقوفة أو الموهوبة لهم من المسيحيين بدون معارضة لهم في التصرف فيها من أي كان وبدون أن تضرب عليهم ضرائب وأن لا توضع عليهم مغارم بأي وجه من الوجوه لا من مديري المديريات ولا الحكماريين ولا وكلاء المديريات ولا نظار الأوقاف السلطانية ولا الجباة ولا مأموري الايرادات ولا وكلاء بيت الأمانة ولا محصلي الجزية

الشخصية ولا مفتشي الضرائب ولا من سائر الموظفين الحربيين والملكيين ووكلائهم.[xvii]

ولا حق لأي بطريرك أو مطران أو أسقف بأي اقليم أو أية مديرية أن يتدخل في شؤنهم أو يستبد بهم لأن هذا من اختصاص الأسقف المعين رئيساً عليهم في الجبل المذكور، ولا يجوز لأي كان أن يكدر صفوهم أو يعاملهم بما يخالف نصوص المعاهدة المقدسة وفرمانات السلاطين السالفين الممنوحة لهم.[xviii]

ترجمة فرمان السلطان عبد الحميد إلى المطران بورفيريوس الثاني مطران سيناء الحالي سنة ١٩٠٤: الطغراء العثمانية الغازي عبد الحميد بن عبد المجيد خان دام نصره " عرضت الينا الخديوية المصرية ان بورفيريورس افندي رئيس أساقفة دير طور سيناء استعفى لشيخوخته ومرضه وان جماعة رهبان الدير وخوارنته اجتمعوا وانتخبوا في مكانه الارشمندريت بورفيريورس بوغوتيس افندي والتمست منا اصدار براءتنا السلطانية بقبول هذا الانتخاب وتعيين المومأ اليه رئيساً مع درج الشروط القديمة. وقد روجعت القيود فوجد ان انتخابهم رئيساً هو من جملة حقوقهم الممنوحة لهم، فلذلك تعلقت ارادتنا السنية باصدار براءتنا هذه السلطانية بتعيين الارشمندريت بورفيريورس بوغتيس افندي المومأ اليه رئيساً لأساقفة دير طور سيناء وقد أمرنا بأن لا يتعرض لهم أحد في ديرهم وكنائسهم وجنائنهم التي في جبل موسى المقدس وطور سيناء، ولا في كنيستهم وجنينة النخيل والزيتون التي على البحر في مدينة الطور، ولا في ديرهم في حارة الجوانية بباب النصر في مصر المحروسة، ولا في الوكالتين اللتين لهم عن يمين الحارة المذكورة وشمالها. ولا في المعبد الواقع بجهة كاترينه ولا في عباداتهم وصلواتهم، ولا في منازلهم

ووكالاتهم وغيرها من الأوقاف التي لهم في مصر القاهرة وأن لا يدخل محلاتهم ولا يتعرض لهم أحد من خفراء المدينة المذكورة، وأن لا يؤخذ منهم رسم ما على بساتينهم وكرومهم وفواكههم ونخيلهم وزيتونهم وجميع حقوقهم ورسومهم وأحكارهم وأعشارهم في بلاد الطور والشام ومصر، وان لا يتعرض لهم أحد في حريرهم وأطلسهم الأسود وأوقافهم وكرومهم ومزارعهم التي لهم في جزيرة قبرص، وان لا يكلفوا دفع رسوم جمارك او دخولية في مواني البحر المالح والبحر الغربي في الاسكندرية ورشيد ودمياط وقبرص ودمشق والشام ونديس وحوران وقسطه وغزة وبيروت وصيدا وطرابلس الشام واللاذقيه وغيرها من المواني، وان لا تؤخذ الرسوم الجمركية على الصابون والزيت والحبوب والنذور والصدقات الواردة لهم من الثغور الإسلامية وان لهم ان يزوروا قمامتهم في دمشق الشام حسب عادتهم القديمة، وان لا يتعرض لهم أحد في دفن موتاهم ولا يتعرض لقبورهم، وان يحصل لهم الحكام فوراً كل حق يثبت لهم على تمامه ويمنعوا الناس من التعرض لهم في ذلك بدون وجه حق ، وان لا يتعرض لهم في أمورهم احد من القضاة الميرميرانات و الميرلوءات والملتزمين والأمناء والعمال، وأن لا يتعرض لهم بطرك الإسكندرية أو غيره من بطاركة الايالات الأخرى بسوء ولا ان يتدخلوا في أمورهم بأي وجه من الوجوه فانهم مستقلون تحت سيادة رئيسهم ، وحيث ان سيدنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية اعطاهم عهداً مباركاً، واتبع مثاله الشريف الخلفاء الراشدون والسلاطين السالفون وتعظيماً للعهد النبوي ومحافظته على الأحكام الشرعية بأن الطائفة المذكورة تقيم في الجبل المنوه به بتمام الأمان والاطمئنان، وعملاً بموجب العهد النبوي المذكور والبراءات الشريفة والأوامر المنيفة الواجبة

الاتباع بأن لا يتعدى عليهم أحد من الناس ولاتعرض لهم بسوء، ومن خالف ذلك العهد والأوامر استحق العقاب الشديد والجزاء الصارم، لذلك اعطيت براءتي هذه السلطانية لهم للعمل بموجبها." تحريراً في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك سنة اثنين وعشرين وثلاثمائه وألف، ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٤م."[xix]

أهم الأساقفة الذين تولوا شئون الدير:

يعد المطران كاليستراتس من أزمير سنة ١٨٦٧: ١٨٨٥م مات في مدينة الطور، وفي أيامه سنه ١٨٧٠ جعل للكنيسة قبه وعلق فيها أجراس مختلفه.

المطران يورفيريوس الأول من جانتا سنة ١٨٨٥م مرضى واستعفى سنة ١٩٠٤ وأقام في جزيرة صاقس إلى أن توفى فيها في ١٥ يوليو سنة ١٩٠٩م، ثم نقلت رفاته إلى معرض الجماجم في الدير ولا تزال هناك مع رفات مطارنه آخرين.

المطران يورفيريوس الثاني مطران دير طور سيناء الحالي، سيم مطراناً على سيناء بعد استعفاء سلفه في ٢٣ أفريل سنة ١٩٠٤، وقد تقدم لنا ذكر لمع من سيرته المجيدة عند الكلام عن جغرافية الدير[xx]

وقد ذهب إلى الدير في ٢٧ يناير ١٩٠٥ مندوباً من قبل سعادة السردار الانجليزي لعقد اتفاق بين رهبان الدير وعرب الطور بشأن تأجير جمال لنقل الرهبان وأمتعتهم من مدينة الطور والسويس إلى الدير وبالعكس فقضى في الدير أربعة أيام إلى ان تم الاتفاق بين الفريقين وقد ذكر برمته في باب الجغرافيه، وكان في الدير وضواحيه اذ ذاك نحو عشرين راهباً وفي الجهات التابعة للدير خارج سيناء نحو ٤٠

راهباًوعليهم السيد الكريم يورفيريوس رئيساً ومطراناً، والأب بوليكريوس وهو شيخ جليل خزاناداراً، والأب افيانيوس أقلوماً أي مديراً عاماً للدير وجميع الأديرة التابعة له في مصر والشام وأوربا ، والأب بنيامين وهو من القدس ولكنه مترب تربية يونانية، أقلوماً خاصاً للدير[xxi]

علاقة الدير بأوربا:

الرحالة الروس:

وبالنسب للحجاج الروس الذين زاروا سيناء، فقد كانت رحلتهم إلى مصر تهتم أساساً بجبل سيناء ومزارته المسيحية، وحظى دير سانت كاترين بخاصة والجالية اليونانية المقيمة بمصر ورهبانها التابعين لطائفة الروم الأرثوذكس عامة بعناية خاصة من قبل الكنيسة والسلطة الرومية، وحظي دير سانت كاترين بدعم مادي ومعنوي كبير. ان مسالة من هو أول زائر وصل لسيناء من مواطني الروس لا تزال بحاجة إلى اكتشاف وبحث، وإن كان البعض يعتقد بأن جريثينوس Grethenios من أوائل الرحالة الروس الذين زاروا الدير سنة ١٤٠٠م، وذلك أثناء اتجاهه نحو الأراضي المقدسة بالقدس، وقد اختصر في سرد روايته واقتصر على ذكر المدن التي زارها والوقت اللازم للانتقال من مدينة لأخرى، متجاهلاً وصف أهم المعالم في طريقه كما ذكر أن المسيحين الأذوكس يذهبون إلى جبل سيناء، إلا أنهم لا يخاطرون بالذهاب لأماكن أبعد بسبب انعدام الطرق المؤدية إليها.[xxii]

تعرضت المكتبة لحريق كبير أتى إلى جزء كبير من محتوياتها وتوجد بالمكتبة قائمة بالكتب التي احترقت أثناء الاحتلال الاسرائيلي للدير وفيما بعد نشرت قائمة للمجموعة العربية اليونانية، عام١٨٩٤م

وفي الأعوام من ١٩١١ إلى ١٩١٧م جاءت بعثة أكاديمية انجليزية لبحث المخطوطات اليونانية وقد بعثت ٩٢٧ وثيقة [xxiii]

وفي عام ١٩١١ أسل السيد بنهارت مورتيز كمدير سابق للمكتبة الخديوية بالقاهرة والذي تمكن من تصوير ما يقرب من ٨٥٠٠ صورة تم تصويرها تحت حماية القنصل الألماني بالسويس، لكن تجئ الرياح بما لا تشتهي السفن فأرغموا على بيع ٢٥ صندوقاً على مزاد أقيم في مدينة السويس، وبالنسبة إلى الخمس صناديق الأخرى فقد تم أخذها إلى الرئاسة العسكرية البريطانية في القاهرة، وتم تحطيمها على اعتبار أنها وثائق تخص الجاسوسية الألمانية.[xxiv]

وبمجئ عام ١٩٤٠ ذهب سوريال إلى الدير في زيارة قصيرة حيث عثر في المكتبة على صندوقين مملوئين بالمخطوطات بالإضافة إلى ١٠٠ قطعة أخرى حفظت في أدراج المكتبة، وفي منتصف العام نفسه ١٩٤٠ وافق وزير المعارف محمود فهمي النقراشي على تصوير تلك الوثائق ونسخها ، ولكن عودة سحب الحرب العظمى للمرة الثانية، أجلت المشروع حتى تتبدل الظروف نحو الأفضل وبالفعل تضع الحرب أوزارها وتجئ الظروف الأفضل مع بعثة ١٩٥٠م الشهيرة وبخاصة مع انتقال المكتبة لمكانها الجديد.[xxv]

إلا أن العالم تيشندورف نجح في عام ١٨٤٤ في إتمام دراسة المخطوطات القديمة فأقام في الدير عدة مرات حتي عام ١٨٥٩ وتمكن أثناء إقامته من الاستيلاء علي عدة وثائق من بينهما الوثيقة المشهورة باسم codexsinaiticus وهي عبارة عن التوراة المكتوبة في القرن الرابع بالإغريقية . وقد نجح تيشندورف في تجميع الصحف الواحدة تلو

الأخري حتي عثر علي النصوص كاملة تقريبا. وأهدي تيشندورف هذا المخطوط الفريد في نوعه إلي قيصر روسيا. وبعد الثورة البلشفية بيع الكودكس إلي الحكومة البريطانية وهو الأن في لندن. وقد بيع المخطوط بمبلغ مائة ألف جنيه إسترليني إلي المتحف البريطاني في عام ١٩٣٣.[xxvi]

ولم يكتف تيشندورف بذلك، بل استولي أيضا في عام ١٩٣٣ إثر رحلته الثالثة في عام ١٨٥٩ علي كثير من المخطوطات الجيورجية. وفي عام ١٨٦٥ زار نوروف أحد وزراء المعارف السابقين في روسيا الدير وشهد عددا كبيرا من المخطوطات مخبأة في أحد الأركان وطلب الوزير الاطلاع عليها فسارع رئيس الدير بنقل جزء منها إلي غرفته ورأي مجموعة كبيرة من المخطوطات الجيورجية واثنين أو ثلاث وثائق قبطية.[xxvii]

وفي عام ١٨٨٨ نشر العالم الروسي تساجارللي قائمة المخطوطات الجيورجية باللغة الروسية. وأعاد حصر المخطوطات الجيورجية العالم جيرار جارت الأستاذ بجامعة لوفان ببلجيكا، ونشر كتابا عنها في عام ١٩٥٦ كما فيه كل ما فات علي تساجارللي أو اكتشف بعد ذلك.[xxviii]

وفي عام ١٩٥٠ تمكنت بعثة مكتبة الكونجرس الأمريكية بالأشتراك مع جامعة الإسكندرية من تصوير كل الوثائق التي سبق للعلماء الاطلاع عليها خلال القرن التاسع عشر ودون دراستها. والمجموعة موجودة الأن في المكتبة المذكورة ، ولايخفي أن النقاش الذي دار حول تلك الوثائق جعل من الصعب التحقق من كيفية تسربها الي

أوروبا. فما زال الرهبان يطالبون بجزء من مخطوطات تيشندورف، ويستندون إلي تعهد موقع منه جاء فيه مايلي: " أني تسلمت تلك الوثائق علي سبيل الاقتراض وتعهد بردها إلي الدير "[xxix]

أما تيشندورف من ناحيته فيدعي أنه أنقذ تلك الأوراق الثمينة من الهلاك المحتم إذ إنه وجد الرهبان قد حصروها في أكوام لاستعمالها في إضرام النار.ومن بين محتويات مكتبة الدير نسخة من التوراة باللغة السريانية ترجع غلي القرن الرابع الميلادي ، وهي علي الأرجح ترجمة من الكتاب المقدس بالإغريقية عن نسخة ترجع إلي القرن الثاني ، وعكف الغلماء إلي دراسة تلك الوثائق ، إلا أن كثيرا منها ما زال يحتاج حتي الان إلي نشر محتوياته.[xxx]

وفي السنوات بين ١٨٩٤ و ١٨٩٨ نشرت مجموعة من الوثائق بفضل سيدة تدعي مارجريت دنلوب جبسون، سافرت إلي شبه الجزيرة في عام ١٨٩٣ وتمكنت من تصوير مجموعة كاملة من الوثائق، فجمعت ما يزيد عن ألف صورة فوتوغرافية ووصلت بها إلي كمبردج، وعثر العلماء بينهما علي الإنجيل القديم السابقة الإشارة اليه، فضلا عن عدة مخطوطات باللغة العربية من بينهما رسالة بولس الرسول إلي الرومان وإلي أهل كورنتس وإلي الجلاتين. وجزء من رسالة القديس إلي أهل إيفيز. ومن الوثائق أيضا بعض القطع الأخلاقية للكتاب الإغريق كبلوتارك باللغة السريانية. [xxxi]

وفي ذلك العهد تطورت العلوم الجيولوجية. ففي عام ١٨٨٥ نشر سكمبر اول مجموعة من نباتات سيناء وقام إدوار روبيل بنشر نتاتج أبحاثه الجيولوجية عن المناجم التي كانت تمون مصنع نصب. وفي

الفترة نفسها سافر العالم الجيولوجي بوفيه مدير مزارع إبراهيم باشا غلس سيناء وجمع مجموعة من النباتات والمعادن. وقد نشرت دراساته ونتائج رحلته في مجلة الجمعية الجغرافية في عام ١٨٨٥ بباريس.[xxxii]

وفي عام ١٨٦٥ بدأت البعثة البريطانية العلمية برئاسة بالمر دراستها، وكان يرافقه عالم النباتات دريك الذي كف علي دراسة الحشرات وأرسلت مجموعة منها إلي متحف كمبردج بإنجلترا. وفي عام ١٨٩١ م اخترق العالم الالماني كونتج شبه الجزيرة من السويس إلي عزة وجمع مجموعة من الحشرات. وفي عام ١٩٠٢ جمع العالم بيريمهوف تلك الحشرات في قائمة نشرت عام ١٩٠٧ ، أما أعمال البعثة البريطانية نفسها فقد كانت ترمي في البداية إلي وضع موسوعة كاملة لشبه الجزيرة، إلا أنه سرعان ماتبين لتلك البعثة الصغيرة استحالة القيام بكل انواع العلوم المتعلقة بشبه الجزيرة فاكتفت بوضع الخرائط ، اما النتائج العلمية لأعمال البعثة البريطانية وكانت مكونة من بالمر وويلسون وهولند فقد كانت ضعيفة ولم تأت الخرائط نفسها بجديد عن الخرائط السابق إلا بإعدادها بدقة وعناية سواء من ناحية الخرائط الجيولوجية أو الجغرافية. وقد سبق لي أن تعرضت لهذا الموضوع في الجزء الجغرافي لهذا البحث ، وقد نشر بالمر كتابا عن " صحراء الخروج " جمع فيه بعض التفاصيل والقصص، إلا أن الناحية العلمية هي أيضا لم تات بجديد في هذا الكتاب. وبعد احتلال مصر قام في عام ١٨٨٣ الأستاذ هول مدير الخرائط الجيولوجية بإيرلندا علي رأس بعثة برحلة إلي سيناء ، وكان الغرض من البعثة دراسة العلوم الطبيعية في علم النبات والحيوان. [xxxiii]

وقد نشر أحد أعضاء البعثة هنري شيشترهارت كتاب عن نتائج تلك الدراسات وبجانب اكتشاف كل النواحي العلمية سواء في العلوم الطبيعية او الجيولوجية، تابعت البعثات الأثرية أعمالها في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر. وفي عام ١٨٧٠ وضع أحد رجال الدين من الروس ويدعي أنطونين قائمة كاملة للمخطوطات الأغريقية. إلا أن تلك القائمة لم تنشر، وقد استفاد منها العالم جاردنهاوسن في عام ١٨٨٦ عند وضع قائمة جديدة، فاكتفي في أغلب الأحيان بنسخ قائمة أنطونين. ومما يلفت النظر أن من ١٣١٠ وثيقة التي دونها أنطونين لم يعثر منها إلا علي ١٢٢٣ وثيقة. [xxxiv]

وفي أوائل القرن العشرين حصر العالم الفرنسي ريموند فايل جميع الكتابات المصرية المنحوتة التي ترجع إلي العهد الفرعوني، والتي كانت محصورة في منطقتي وادي مغارة وسرابيت الخادم . فبدأ دراسته بإعادة ذكر المجموعات التي تمكن العالم الفرنسي لوتين دي لافال من حصرها في عام ١٨٩٩، وهي عبارة عن لوحة من المكتوبات الهيروغليفية اخذت معالمها بطريقة علمية قد اخترقها دي لا فال وهي عبارة عن قوالب أعدت بطريقة حرقها بالنار مما جعل الحروف أوضح وأكثر صلابة ، وقد جمعت في ثلاثة أجزاء من الصور الفوتوغرافية وفي جزء من النصوص ومجموعة من الخرائط.[xxxv]

وفي الجزء الثالث جمع ordnancesurvery كمية مهمة من النصوص الهيروغليفية كانت من قبل معروفة من دي لا فال. وبلغ مجموع تلك النصوص ٦٠ نصا، إلا أن تلك النصوص لاتمثل إلا جزءا مما تحتويه شبه الجزيرة في النصوص. ففي عام ١٨٨٤ نشر العالم بروجش ٢٦ نصا جديدا في منطقة مغارة وحدها ، تتابعت الاكتشافات

في هذا الخصوص. وجمع العالم بيرشي النصوص المحصورة في نتائج أعمال البعثة البريطانية واضافها الي الاكتشافات الجديدة. وظلت تلك الاكتشافات مخفية إلي أن حصرها ريمون فايل وكون منها مجموعة كاملة في ملف يحتوي علي اكثر من ٢٠٠ كتابة ،وعلي الرغم من الملف المذكور الذي وضع في المتحف البريطاني، فإن تلك المجموعة لاتحتوي علي كل المكتوبات المصرية. ففي صدر كتاب بالمر ومذكراته وفي مخطوطات برتون توجد الأن نصوص غير معروفة أو معروفة وفقدت أصولها.[xxxvi]

وبجانب هذا التقدم العلمي الباهر ظل بعض البحاثة يسيرون وراء سراب مسيرة اليهود في شبه الجزيرة. ومثال ذلك احد رجال الدين ويدعي شارل فوستر، الذي نشر في عام ١٨٦٢ اول كتاب فوتوغرافي عن سيناء وهو عبارة عن هراء، وكان كل هم فوستر إقامة دليل علي مسيرة الإسرائيليين في صحراء سيناء. أما كيفية التدليل علي ذلك فقد كان من الممكن الاستغناء عن ذكرها لولا أن كتابه " إسرائيل في الصحراء" لقي في عام ١٨٦٥رواجا كبيرا في العالم. ولم يبدأ رد الفعل الذي ينفد تلك الخزعبلات إلا في عام ١٨٧١ لما وصفها بالمر بأنها " جهود تنم علي حسن النية وإن كانت خاطئة" . [xxxvii]

فقد رأي فوستر في الكتابات المصرية النبطية أصلا يهوديا. فنصوص إمنمحات الرابع المغارة وبجانبها كتابة نبطية ليست إلا صور لأثار عبرية تركها بعض رفاق موسي في الصحراء، ولم يتردد فوستر في إقامة حروف أبجدية من مخيلته للتدليل علي قراءة تلك النصوص بالمعاني التي يرمي إليها . ولولا أهمية الموضوع بالنسبة إلي الدعاية الكاذبة، التي تحاول إسرائيل التدليل بها بوصفها حقائق تاريخية ثابتة،

كما أشرنا إلي ذلك، لما كان هنالك داع لذكرها ، ومن سنة ١٨٨٨إلي ١٨٩٠ توجه العالم ج. بنديت مرتين إلي سيناء وعاد منها ومعه من الرحلة الأولي ٩٥٠ نصا أغلبها من وادي فيران ووادي المكتب . ومن الرحلة الثانية بأكثر من ألف نص أغلبها من نبطي استخرجت من نصب والغارة والمكتب ووادي فيران. وبذلك بلغت النصوص المستخرجة من سيناء في نهاية القرن التاسع عشر ألفين وأربعين نصا، وفي عام ١٨٩٦ ظهر الجزء الأول من كتاب ج. دي مورجان عن الأبحاث الخاصة بأصل الحضارة المصرية، وهي دراسة أثرية وتاريخية خصص جانب منها إلي مناجم سيناء.[xxxviii]

وقد أثار مقتل أحد قساوسة دير سانت كاترين في مايو ١٩٠٥ م حفيظة الحكومة المصرية بسبب الخلاف بين القبائل حول قيمة تأجير الجمال التي كانت تحصل عليها قبيلتي الصوالحة والعليقات حيث أرادت قبيلة الجبالية أن يكون لها نصيب في تلك القيمة فرفضت القبيلتان ذلك رغم تحالف قبيلة الجبالية مع إدارة الدير فأصدرت الحكومة أوامرها بتعيين المستر برامل(Brimle) مفتشاً لسبه جزيرة سيناء عام ١٩٠٥ م وسعد بك رفعت قومندان في ٣٠ مايو ١٩٠٥ م للعمل على حل تلك الخلافات ،وقد خطى بريملى خطوات جادة في إعادة الهدوء والاستقرار بالمنطقة فنظم إدارة البوليس وعهد بالإصلاح الإداري واهتم بالمشروعات الزراعية، فنظم البوليس ، وأقام سداً في وادي العريش لزيادة مساحة الأراضي الزراعية كمحاولة لتوطين البدو واستقرارهم في وسط سيناء وقد أثار تعيينه الحكومة العثمانية حيث وصلت إليها الأخبار بأن انجلترا تعد صحراء سيناء لأعمال حربية مهمة كإقامة القلاع في المنطقة وقد أكدت

الصحافة تلك الأخبار ، ففي مقال لجريدة اللواء في ٩ديسمبر ١٩٠٥ م نبه فيه الكاتب بأن نظارة الحربية أخذت في وضع تصميمات هذه الأعمال .[xxxix]

وهذا أثار حفيظة الباب العالي التي أمرت قوة تركية في ٢١ يناير ١٩٠٦ بالتقدم من العقبة إلى طابا وهو ما رفضته الحكومة المصرية ووضحه القائم بأعمال المعتمد البريطاني في القاهرة المستر فندلي إلى وزارة الخارجية في لندن يؤكد أن طابا داخل الحدود المصرية كما بين في رسالته خريطة تبين ذلك، وبناءً عليه أصدرت الحكومة المصرية في يناير ١٩٠٦ م أمراً إلى مفتش سيناء برا ملى بإقامة نقاط حراسة لمراقبة الحدود.[xl]

الألمان وسيناء:

سعى الألمان منذ اندلاع الحرب إلى كسب الدولة العثمانية إلى صفهم، وتشجيعها على القيام علي حملة على مصر، واستخدام الألمان سلاح المال لاقناع القادة العثمانيين بأهمية تلك الحملة ورفع حماسهم لها، ووجدت الدولة العثمانية في دخولها الحرب إلى جانب ألمانيا فرصتها الاخيرة لانتزاع مصر من أيدي بريطانيا، وكان من أثار ذلك أن بريطانيا رات في اندلاع الحرب فرصة لاعلان الحماية البريطانية على مصر وقطع علاقتها الرسمية بالدولة العثمانية وخلعت الخديوي عباس حلمي الثاني، حيث اعتبرته والياً للدولة العثمانية، وعينت محمد حسين كامل وأعلنته سلطاناً على مصر ، تأثر طرق الحجاج إلى دير سانت كاترين في عام ١٩١٤ وذلك نتيجة هدم الابار، وقد تركت الحرب العالمية الأولى أثارها على سكان سيناء ولعل أهم تلك الاثار ذلك الاثر الناجم عن توزيع الأسلحة على هؤلاء البدو من قبائل القيادة العثمانية.[xli]

المصادر والمراجع

[i]) افرام الشماس: ص٧٤٣.

[ii]) محمد أحمد حسين: الوثائق التاريخية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٣٢.

[iii]) عبده مباشر واسلام توفيق: المرجع السابق، ص١٤٠.

[iv]) احمد فخرى : تاريخ شبه جزيرة سيناء منذ اقدم العصور حتى ظهو الإسلام، بحث منشور ضمن موسوعة سيناء، المرجع السابق ، ص ١١٨ .

[v]) فايز نجيب اسكندر : مصر في كتابات الحجاج الروس، مكتبة الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص.ص ٤٧، ٤٨ .

[vi]) J.Wellard: Desert Pilorimace, Ajourney into christien Egypt, London, 1970, pp.12,172

[vii])انتاسيوس: المرجع السابق،ج٢، ص١١٦.

[viii]) المرجع نفسه: ص١١٦- ١١٧.

[ix]) نفسه، ص٧٣.

[x]) سعيد مغاورى محمد : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

[xi]) جنانيا كساب: المرجع السابق، ص٥٨.

[xii]) انتاسيوس: المرجع السابق ،ج٢، ص٢٥٢.

[xiii]) المرجع نفسه : ص٢٥٢.

[xiv]) أثاناسيوس باليوراس: المرجع السابق، ص١٧-١٨

xv) V.s.Williams: Op.Cit.p724

[xvi]) عبد الرحيم ريحان: المرجع السابق، ص٧٤.

[xvii]) فايز مجيب اسكندر المرجع السابق، ص١٠٥.

xviii) K.W. Klark: Op.Cit.P67.

[xix]) دار الوثائق القومية: الوثائق الخاصة بدير سانت كاترين، وثيقة رقم ٢٣، بتاريخ ١٩٠٤، ص٦.

[xx]) نعوم بك شقير، المرجع السابق، ص٤٣٠

[xxi]) عبده مباشر وإسلام توفيق: المرجع السابق، ص١٦.

xxii) Kamil Jill: Op.Cit.P80.

xxiii) G.Schmidt and B.Mortiz: Die Sinai, Expedition in Fiihyahr, 1914,p69

xxiv) Atiya: Klostors in Mittelater nach Arapisehan Ouellen Aphandlungen Der Konigl, 1918, p112

xxv) A.Hjelt: sinaiticus Helsingfors,1930, p55.

[xxvi]) فايز نجيب اسكندر: المرجع السابق، ص٥١.

[xxvii]) المرجع نفسه: ص٥٢

[xxviii]) محمد سالم ابو سمور : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

[xxix]) نعوم بك شقير : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

[xxx]) فايز نجيب اسكندر : المرجع السابق ، ص ٥٦ .

xxxi) Papaioannou Evangelos: Op.Cit.p 57

xxxii) Wendell, Philips: Op.Cit.p 57

[xxxiii]) نعوم بك شقير: المرجع السابق، ص٣٦٠.

xxxiv) Assad Rustum: Op.cit.p23.

xxxv) F.A.Meinardus: Op.Cit.p88.

xxxvi) G.H.Forsyth:Op.Cit.p50.

xxxvii) R.Milburn: Op.Cit.p35

xxxviii) p.Grosman: Op.Cit.p22

[xxxix]) نعوم بك شقير: المرجع السابق، ص٤٠٩

[xl]) نعوم بك شقير: المرجع السابق: ٤١١.

[xli]) عبده مباشر وإسلام توفيق: المرجع السابق، ص٩١.